تحقيق النصوص والببليوجرافيا النصية في بحـــوث علـــم المكتبـــات

أحمد بـدر

أستاذ المكتبات والمعلومات

جامعة الملك عبدالعزيز ــ جدة

تقديـــــم :

تحقيق النصوص أو نقدها، مجال استقرت قواعده في الدراسات والبحوث الأدبية منذ زمن قديم، وهو يعتبر أيضا من بين الأساليب البحثية التي تتضمنها كتب مناهج البحث في علم المكتبات، أما الببليوجرافيا النصية فهي تدخل ضمن الببليوجرافيا التحليلية أو النقدية، وهي التي تشمل في معناها العام، اكتشاف وشرح الحقائق المتعلقة بتاريخ حياة الكتاب. ولكن الببليوجرافيا النصية تعتبر في الوقت الحاضر، أكثر المجالات أو القضايا الببليوجرافية الخلافية، ويعود هذا الخلاف بالدرجة الأولى، إلى أنها ــ في نظر البعض ــ تصطدم بالتخصصات الأخرى، على الرغم من أنها تخدم هذه التخصصات، وتساعد في تقديم الدليل الببليوجرافي كدليل إضافي في الدراسات الإنسانية كالنقد الأدبي والتحرير النصي. وستتناول هذه الدراسة موضوع نقد النصوص وإرساء قواعده كعلم في العالم الغربي ولدى المسلمين، ثم تتناول الدراسة أيضا موضوع الببليوجرافيا النصية كمنهج بحث، حيث يختبر الباحث الفرض الذي يضعه عن النص بالدليل الببليوجرافي، وذلك للوصول إلى النتيجة، وهي التحقق من الأمور المتعلقة بالنص.

أولا : تحقيق النصوص أو نقدها :

١ ــ نقد النصوص في التاريخ الإنساني :

مشكلة نقد النص قديمة قدم الكتابة نفسها، مع أول تاجر تسلم طلبا مكتوبا لتوريد بضائع إلى أحد الزبائن البعيدين عنه، وقديمة مع أول رئيس يبعث بأمره المكتوب إلى أحد مرؤوسيه .. هؤلاء كانوا مشغولين بعملية نقد النص سواء أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا. ولكن عندما بدأ الباحثون الغربيون مثل **لورنزو ڤيلا وإراسموس** Lorenzo Villa & Erasmus أثناء عصر النهضة، عملية نقد النص، برزت هذه العملية إلى المستوى العلمي في العالم الغربي .. ولكن لابد من الإشارة إلى أن هناك عملية مماثلة قديمة قد تمت قبل ميلاد المسيح، وكان ذلك بمدرسة **هان** التعليمية School of Han Learning وهي التي كانت خلال أيام **كونفوشيوس** فيلسوف الصين القديم.

إن ما قام به **ڤيلا** بإثباته أن ما سمى «بهبة قنسطنطين Constantine Denotion» (والتي بموجبها منح الامبراطور قنسطنطين الأكبر إلى البابا سيلفستر الأول الملكية المؤقتة لروما والعالم الغربي) لم تكتب في عصر قنسطنطين ولكن بعد أربعمائة

سنة من هذا التاريخ .

وما قام به **إراسموس** من عمل مضن لإعادة تركيب النص اليوناني الأصلي للعهد الجديد .. هذه الأعمال **لڤيلا ولإراسموس** معروفة تماما للدارسين في هذا المجال .

فما قام به **ڤيلا** يعتبر مثالا طيبا لنقد النص والذي يعتمد على ما يسمى بالمفارقة التاريخية **Principle of Anachronism**.

وفي حالة وثيقة **ڤيلا**، هناك المفارقات التاريخية في الأسلوب والكلمات والحكم المأثورة والتي لم تكن مألوفة أو حتى معروفة في القرن الرابع الميلادي، ولكنها أصبحت مألوفة في القرن الثامن فقط.

أما مشكلة **إراسموس** فكانت مختلفة، فهو لم يواجه بوثيقة رسمية (دبلوما) مزورة، ولكنه ووجه بالنص المتفق عليه لعمل مقدس والذي لا يخضع للمعايير البحثية وبالتالي فهو في نظر **إراسموس** غير دقيق .

٢ ـ نقد أو تحقيق النصوص كعلم :

لقد ارتفعت دراسة النقد النصي إلى مستوى العلم في أوروبا على يد رهبان المور **Maurist Monks** وعلى الأخص جوان مابيلون **Jean Mabillon** وأعطى اسم الدبلوماتيـــة **Diplomatics** (أي دراسة الدبلومات والوثائق الرسمية) في القرن السابع عشر .

وكان الرهبان المور مشغولين بنشر مجموعة مجلة **Acta Sanctorum** محصورة في القديسين بنديكتين **Benedictine Saints** في بدايتها وإن كانت هذه الدورية ما زالت تصدر حتى اليوم.

ولقد اتهم اليسوعيون **Jesuit** في بلجيكا وعلى رأسهم جوان بولارد **Jean Bollard** اتهموا مابيلون **Mabillon** بأنه يستخدم في دراساته المواد غير الموثوق بها **Inauthentic materials** مما دفع مابيلون إلى كتابة مؤلفه المشهور الدبلوماتية عام ١٦٨١ **De re diplomatica** ، ولعل هذا المؤلف يعتبر لدى الأوروبيين أول عمل منهجي للدبلوماتية كعلم .

والمقصود بالعلم هنا هو أن الدبلوماتية قد استوفت بهذا المؤلف متطلبات ومقومات العلم، فكما أن وحدة القياس في البيولوجيا هي الخلية ووحدة القياس في الفيزياء هي الذرة فإن وحدة القياس في الدبلوماتية هي حروف ورموز وعلامات الترقيم في المخطوطة، ذلك لأن علم الدبلوماتية قد ارتكز على طريقة الكتابة القديمة **Paleography** أي تحليل طريقة الهجاء والاختصارات أو الأساليب المميزة في اللغة **Idioms** وغيرها من عناصر التحليل التي تمكن الباحث من تحديد الفترة التي كتب فيها هذا المخطوط، وبالتالي تحقيق مدى صحته ونسبته إلى مؤلف معين.(١)

لقد استخدم مصطلح نقد النص لفترة طويلة بعد عام ١٧٤٨م للدلالة على نقد نص الإنجيل، وظل هذا الإستخدام حتى عام ١٨٨١م للدلالة على «القضايا المتصلة بتكوين وتحرير وتجميع الكتب المقدسة». ولكن استخدام هذا المصطلح أصبح الآن ينسحب على الآداب بصفة عامة .. كما أصبح اهتمام الباحث التاريخي يتركز على مصادر الثقة في النص **Authenticity** (النقد الخارجي) ذلك لأنه من النادر أن يتطلب دراسة محتويات النص .. أي أن الأهم هو تحديد بيانات التأليف وتاريخ الكتابة والمفارقات التاريخية واختلاف شكل أو هجائية الكلمات **Variants**(٢). وهذا كله من الاهتمامات الببليوجرافية في علم المكتبات .

٣ ـ علماء المسلمين وتحقيق النصوص :

لابد هنا من وقفة لتسجيل سبق علماء الإسلام في ميدان

توثيق النصوص، ذلك لأن أقدم نص عنى المسلمون بتوثيقه هو كتاب الله، فقد انتهج **زيد بن ثابت** في جمع القرآن خطة رشيدة في غاية الدقة والإحكام، فلم يكتف بما حفظ في قلبه، ولا بما كتبه بيده، ولا بما سمع بأذنه، بل أخذ على نفسه أن يعتمد على مصدرين **أولهما** ما كان محفوظا في صدور الرجال **وثانيهما** ما كتب بين يدي رسول الله (ص).

ويذهب الأستاذ عبد السلام هارون إلى أن الكتابة كانت جديدة عند العرب، ولكن الإسلام دعا إليها، ففي أعقاب غزوة بدر كان من طرق مفاداة أسرى المشركين أن يعلم الأسير عشرة من المسلمين الكتابة، وكان «زيد بن ثابت» كاتب رسول الله (ص) أحد هؤلاء الذين علمهم الأسرى، حتى إذا جاءت الدولة العباسية انتشر التدوين وظهرت الكتب في شتى الفنون الدينية محتفظة بالطابع الذي غلب على المحدثين، وهو اسناد الرواية إلى مؤلف الكتاب، كما كان هذا النشاط مقرونا بالحرص على الضبط والتصحيح.(٣)

وذكر السمعاني(٤) (ت ٥٦٢هـ) من حديث عطاء بن يسار (ت١٠٣ هـ)، أن رجلا كتب عند النبي (ص)، فقال له النبي (ص): كتبت؟ قال: نعم. قال: عرضته؟ قال: لا. قال: لم تكتب حتى تعرض فيصح.(٥)

وإذا لم يكن المسلمون الأوائل قد استخدموا المصطلحات الحالية في مدلولاتها العلمية، فقد قاموا بنقد النص وتحقيقه وضبطه ومقابلته بشكل عملي كجزء لا يتجزأ من نشاطهم البحثي المدقق.

ويمكن أن يورد الكاتب هنا شرح الأقدمين لمدلول الضبط والتحرير والمقابلة: فقد عرَّف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) — الضبط — فقال: (الضبط لغة: عبارة عن الحزم وفي الاصطلاح: سماع الكلام كما يحق سماعه ثم فهم معناه الذي أريد به ثم حفظه ببذل مجهوده، والثبات عليه بمذاكرته إلى حين أدائه إلى غيره)(٦)

كما عرَّف أبو بكر الصولي (٣٣٥هـ) لفظ (تحرير) فقال: (تحرير الكتاب: خلوصه كأنه خلص من النسخ التي حرر عليها وصفا عن كدرها).(٧)

وخلاصة هذا كله أن كتب علوم الحديث والأدب العربي مليئة بنصوص تدفع المؤلف والمحقق إلى معارضة النص وضبطه وتصحيحه وتوثيقه قبل إخراجه للإنتفاع به.

وهذا يعني أن العرب عرفوا هذه المادة (تحقيق) كعمل قبل الأوروبيين بقرون عديدة، ولكن العرب لم يعرفوها كعلم ومادة دراسية جامعية إلا بعد أن انتهت إلى ما انتهت إليه على أيدي الأوروبيين في تدوينها علما قائما بذاته.

٤ — نقد النص وتحقيقه في اللغتين الإنجليزية والعربية:

إن أول استخدام للمصطلح الإنجليزي «نقد النص» Textual Criticism جاء عام ١٧٤٨م، ولكنه كان ينصب على نقد نص الإنجيل فقط، وفي عام ١٨٥١ م وضع **كارل لاخمان** Karl Lachmann الأستاذ بجامعة برلين، قواعد نقد النصوص والتي تنسحب على مختلف أشكال الأدب وظهرت مقالة الموسوعة البريطانية عام ١٩٦٧ م بعنوان «نقد النص» لتنسحب على الآداب بصفة عامة(٨).

أما بالنسبة للاستخدامات العربية، فيقول الدكتور عبد الهادي الفضلي الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، بأن كلمة (تحقيق) هي ترجمة للكلمة الإنجليزية Criticism وذلك لأن كلمة (تحقيق) العربية لم تستعمل قديما في اللغة العربية بمعناها العلمي أو الإصطلاحي المستخدم الآن، لأنها معجميا تعني (إحكام الشيء). يقول المعجم الوسيط كلام محقق أي محكم الصنعة رصين، وإذا رجعنا إلى المعاجم الحديثة المختلطة لتبين معنى كلمة (Criticism) فسنرى (معجم مصطلحات الأدب) يترجمها إلى ما

يلي: الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصدرها وصحة نصها وإنشائها وصفاتها وتاريخها.

أما كلمة **(نصوص) فهي** ترجمة لكلمة Texts الانجليزية وكلمة نص هي الأخرى لم تستعمل قديما في اللغة العربية بمعناها العلمي أو الاصطلاحي هنا، لأنها معجميا تعني إظهار الشيء، فقد جاء في جمهرة اللغة لابن دريد «النص : نصصت الحديث إذا أظهرته».

والكلمة مأخوذة في الأصل من الإقعاد على المنصة وجاء في القاموس المحيط نص الحدث إليه : رفعه .

أما المعاجم الحديثة المختلطة ففيها كلمة Text ، ففي معجم مصطلحات الأدب تترجم بعدة ترجمات منها أن النص هي الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألف منها الأثر الأدبي[٩].

ثانيا : البيليوجرافيا النصية والبحث البيليوجرافي:

١ ـ البيليوجرافيا النصية بين أنواع البيليوجرافيا:

يغطي مصطلح «البيليوجرافيا» المجال الكامل لعلم الكتب* في وجودها المادي Physical entities أي تاريخها وأشكالها المتغيرة والمواد والطرق الداخلة في تكوينها وكذلك وصف الكتب وتسجيلها في قوائم .

وإذا تتبعنا أصول مصطلح «البيليوجرافيا» فسنجد أنها كانت تعني «كتابة الكتب» وهذا هو أول معنى لهذه الكلمة في قاموس اكسفورد الانجليزي، ولكن القاموس نفسه في طبعاته الأحدث قد أشار إلى أن هذا المعنى للبيليوجرافيا لم يعد مستخدما، أي أنها أصبحت تعني الكتابة عن الكتب بما في ذلك إعداد القوائم.

أما بالنسبة لفروع وأنواع البيليوجرافيا، فهناك اختلاف بين كبار البيليوجرافيين حول تقسيماتها، فيقسمها **اسديل** Esdaile وآخرون غيره إلى **ثلاثة أقسام**: التحليلية والتاريخية والحصرية (أي النسقية) ولكن **جريج** Greg ـ ويؤيده في ذلك **بسترمان** Besterman يضم البيليوجرافيا التحليلية والتاريخية تحت نوع واحد هو البيليوجرافيا النقدية.[١٠]

أما الموسوعة البريطانية فتشير في طبعاتها الحديثة، إلى أن الكلمة تذكر عادة لاتصالها بمجموعتين من الأنشطة هما:

(أ) البيليوجرافيا الحصرية (أو النسقية) وهنا يتم إعداد القوائم طبقا لنظام أو خطة معينة .

(ب) البيليوجرافيا التحليلية (أو النقدية)، وتدلنا هذه في معناها العريض والعام، على أنها تشمل اكتشاف وشرح كل الحقائق المتعلقة بأساليب التحول والانتقال من المخطوطة إلى المنتج النهائي، أي أنها ما سماه فرجسون «تاريخ حياة الكتاب».

أي أن هذا المجال يمكن أن يدرس كمجال مستقل بذاته، ويتعلق باستعادة الدليل أو تفسيره، وذلك فيما يتعلق بعمليات انتاج الكتاب في مختلف الفترات والعصور.

إن تطبيق هذه المعلومات يمكن أن يأخذ أحد الشكلين التاليين:

ـ البيليوجرافيا الوصفية

ـ البيليوجرافيا النصية[١١] Textual Bibliography

وهذه الأخيرة هي التي تعنينا في دراسة البحث البيليوجرافي ، ذلك لأنها يمكن أن تقدم الدليل على أصالة النص Authenticity of the Text أو الترتيب الزمني للطبعات المختلفة، وذلك بواسطة الاستنتاج البيليوجرافي الذي يعتمد على كيفية تجليد الكتاب أو الورق الذي كتب أو طبع عليه، أو غير ذلك من الأمور المتعلقة بالدليل البيليوجرافي .

وإذا كانت الببليوجرافيا التحليلية (أو النقدية) قد أشرنا إلى أنها تتضمن الببليوجرافيا الوصفية Descriptive Bibliography فذلك لأن الوصف يعتبر خطوة منطقية تأتي بعد التحليل الكامل للكتاب وحل مشكلاته الببليوجرافية. كما أن نتائج التحليل توضع في ترتيب معد قبل ذلك Predetermined وذلك للكشف عن الطبيعة الببليوجرافية للكتاب .. أي أن الوصف الجيد للكتاب لا يمكن أن يكون إلا بعد اكتمال التحليل النقدي للكتاب. فالببليوجرافيا الوصفية هي تطور للقائمة أو الفهرس وبالتالي فهي تشارك في بعض مشكلات الببليوجرافيا النسقية.

هذا وتختلف الببليوجرافيا الوصفية عن القوائم الحصرية من حيث النواحي الكمية ومقدار التفصيل المشمول، فالببليوجرافيا الوصفية ستعالج الأوجه الببليوجرافية للكتاب عادة بطريقة تفصيلية، وهذه الطريقة ليست ضرورية وليست مرغوبة على المستوى الحصري، وبالتالي فإن الأداة الناتجة تستخدم لأغراض مختلفة تماما. وليس معنى هذا كله أن الببليوجرافيا الوصفية أفضل «أو أكثر تقدما» من العمل النسقي Systematic وكل ما هنالك أن كل نوع منهما يختلف عن الآخر ولكنه يكمله أيضا.

وإذا كانت الببليوجرافيا التحليلية تحدد على وجه الدقة الاجراءات التي يتعرف بواسطتها الببليوجرافي على الحقائق المتعلقة بالكتاب، فإن الخطوة التالية وهي المتعلقة بتفسير هذه الحقائق تقع ضمن مجال الببليوجرافيا النقدية. وإن كانت هاتان الخطوتان تتمان عادة مع بعضهما وليس بالضرورة واحدة بعد الأخرى.

ويذهب البعض إلى أن «**الببليوجرافيا النقدية**» هي تلك التي تحتوي على حواشٍ نقدية Critical annotations وبالتالي فمنعا للتناقض أو إساءة للفهم فيطلق على الأولى (بلون حواشي) الببليوجرافيا التحليلية فقط على اعتبار أن الوجه النقدي سيكون مشمولا ضمنيا .

أما **الببليوجرافيا النصية فهي** في الوقت الحاضر تعتبر أكثر المجالات أو القضايا الببليوجرافية الخلافية، ويعود هذا الخلاف بالدرجة الأولى إلى أنها تصطدم بالتخصصات الأخرى على الرغم من أنها نفسها تعد لتخدم هذه التخصصات والعلوم .

وهذه التخصصات والعلوم الأخرى قديمة ومستقرة، وهي بالتالي تميل إلى رفض المغامرات التطفلية للقادم الجديد(١٢) . ومن بين هذه المجالات الأكثر تأثرا بالببليوجرافيا النصية المجالان التاليان :

(أ) النقد الأدبي .
(ب) التحرير النصي Textual Editing

وينبغي الإشارة إلى أن مصطلح «الببليوجرافيا النصية» نفسه قد واجه بعض الاعتراضات، ذلك لأن الصفة وهي كلمة «النصية» تشير إلى أن هناك نوعا مختلفا من العمل الببليوجرافي .. ولكن الأمر ليس كذلك .

فالطريقة الببليوجرافية هي نفسها لم تختلف ولكن الهدف من تطبيقها يختلف. فالدراسات النصية تعتبر دعامات أساسية ــ على مدى قرون عديدة ــ للدليل الأدبي والتاريخي واللغوي. وكل ما تشير به الدراسات المعاصرة هو أن الدليل الببليوجرافي يمكن أن يكون دليلا رابعا يسند ويدعم الأدلة الأدبية والتاريخية واللغوية في مجالات عديدة(١٣).

٢ ــ نماذج وأمثلة لأهمية الدليل الببليوجرافي في البحث:

لقد ساق **ستوكس** بعض الأمثلة لتأكيد وجهة النظر الخاصة بأهمية الدليل الببليوجرافي ولكن من مجالات غير ببليوجرافية .. فهو يذكر لعبة قديمة تتم في بعض الحفلات المسيحية، حيث يجلس عدد من الأفراد على مقاعد في صف واحد، ثم يقوم الأول في الصف بالهمس في أذن الجالس بجواره برسالة والثاني يهمس

بالرسالة نفسها إلى الثالث وهكذا حتى النهاية. وقد تبين أن هذه الرسالة حين وصلت إلى آخر شخص في الصف قد تغيرت تماما .. وباللغة الانجليزية كانت الرسالة هكذا: «Going to advance, Send Re-inforcements» أي «عازم على التقدم، أرسل تعزيزات» .. وهذه الرسالة التي بدأ بها الأول قد انتهت إلى ما يلي «Going to dance, send three or four pence» أي «ذاهب إلى الرقص. أرسل ثلاثة وأربعة بنسات».

والبحث هنا يتركز في التعرف على صفات كل واحد من المشاركين، فلعل أحدهم كان «أصما» أو كان الآخر يجد صعوبة في النطق أو كان الثالث يتحدث بلهجة مختلفة أو كان الرابع «مضحك» الحفلة حيث قام بتغيير كلمات الرسالة إلى كلمات أخرى تثير الضحك أو غير ذلك. ولعل ذلك أن يذكرنا «بالعنعنة» في الدراسات الإسلامية. والمقصود بها أولئك الذين يفترون على الرسول (ص) أحاديث كاذبة، وبالتالي لابد من التحقق من الأشخاص واحدا بعد الآخر حتى الوصول إلى حديث الرسول (ص)، ومن هنا فيورد الشيخ في خطبته الدينية عادة (عن فلان بن فلان عن فلان.. أنه (ص) قال).

وعلى كل حال فان الدراسات النصية في رأي **ستوكس** تحاول الكشف عن أي افساد مادي أو فكري للنص بما يغير من فهم المشكلات التي يحتويها هذا النص.

وإذا عدنا إلى الكتاب كوحدة أساسية للدراسات البيليوجرافية، فسنجد الكتاب يمر خلال مجموعة مشابهة من الظروف أثناء انتاجه. كما كانت دراسات كل من **بولارد وجريج** Pollard and Greg دافعا للاهتمام بالببليوجرافيا النصية وأهميتها، وكانت دراسة **بولارد** على الطبعات المختلفة لأعمال **شكسبير** ـــ على وجه الخصوص ـــ ذات أهمية بالغة في تأكيد أهمية وفائدة الدراسات الببليوجرافية وعلاقتها بالدراسات النصية(١٤).

ولقد كانت محاضرات **جريج** Greg وكتاباته عن «الببليوجرافيا» ذات أهمية بالغة في إرساء قواعد هذه الدراسة وتحويلها من مجرد فن إلى علم فقد قال **جريج** فيما قال «إذا كانت الببليوجرافيا اليوم علما نستطيع بواسطتها ترابط الحقائق Coordinate Facts وتتبع عملية الأسباب الثابتة وإذا كانت الببليوجرافيا طريقة دقيقة للبحث والتفسير الخاص بالدليل، أي إذا كنا قادرين ـــ داخل اطار عملنا ـــ على إعادة تنظيم الماضي بناء على دلالات الحاضر، فان ذلك كله يعود ـــ بدرجة كبيرة إلى التجميع المضني والتسجيل المستمر للحقائق والذي قام به الببليوجرافيون الرواد.(١٥)

كما قام **جريج** بالهجوم على أي محاولة تقصر الببليوجرافيا على المجالين النسقي والوصفي (Systematic & Descriptive) ذلك لأن الببليوجرافيا كعلم لا يمكن أن تقتصر على مجرد الوصف، ثم ذهب **جريج** إلى أن البحث الببليوجرافي يشكل ثلاثة أرباع النقد النصي Textual Criticism وبالتالي ثلاثة أرباع عمل المحرر العلمي. وانه لأمر محزن أن تجد المحررين Editors يناقشون ترتيب الطبعات التي لا تحمل تواريخ بناء على احتمالات غامضة، في حين أن ذلك الترتيب يمكن أن يتم بطريقة لا تقبل النزاع، إذا ما استطاع الباحث التعرف في المخطوطات القديمة على كلمة المرور** Password (وهي الكلمة الموجودة في آخر سطر من الصفحة تحت على اليسار ثم هي نفسها تتكرر كأول كلمات الصفحة التالية) أو التعرف على إشارات ببليوجرافية متماثلة .. الخ. ويدعو **جريج** المحررين بناء على ذلك إلى أن يتدربوا على العمل الببليوجرافي حتى يكون اعتمادهم على الدليل النصي أكثر دقة.

لقد أورد **جريج** العديد من الأمثلة التي تؤيد دور الببليوجرافي في تحقيق النصوص وأيدته في ذلك **أليس والكر** Alice Walker ومن أمثلة اتفاقهما على الأهمية الببليوجرافية ما قاما به من تحقيق لبعض نصوص شكسبير فهل هو كتب Sallied flesh أو Solid flesh في روايته المعروفة (Hamlet (i,ii, 129 . وكان من

بين الأدلة على صحة كلمة Sallied وليس Solid أن الباحثين قاما بجمع الببليوجرافيات التي أعدت عن هذا الموضوع وقد تبين أن الكلمة هي Sallied ذلك لأن الحقيقة الببليوجرافية تشير إلى أنه ليس من المعقول أن يقوم اثنان من المجمعين للببليوجرافيا بعمل نفس الخطأ (إلا أن يكون أحدهما قد نقل عن الآخر دون تحقيق أيضا)، ذلك لأن الدليل الببليوجرافي لا يقع في شباك أو شرك الأسلوب عادة[16] والأمر لا يقتصر على الأنشطة العلمية الأجنبية كما أسلفنا، ذلك لأن الدليل الببليوجرافي قد استخدم وطبق في العديد من الرسائل العلمية العربية لتحقيق نصوص التراث العلمي العربي القديم.***

٣ ــ نقد الاعتماد على الدليل الببليوجرافي لتحقيق النصوص :

على الرغم من أن هناك عددا متزايدا من الأمثلة التي تؤيد الاعتماد على هذا الدليل الببليوجرافي في الوصول إلى تحقيق النص.. إلا أن هناك أيضا نقدا موضوعيا لهذا المزج بين العمل الببليوجرافي ونقد النصوص .

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد أشارت الباحثة **أليس والكر** ــ وهي نفسها تعمل كببليوجرافي كما أنها تلميذة **جريج** ــ أشارت في مراجعتها لكتاب Bower's بعنوان «النقد الأدبي والنصي» Textual and Literary Criticism إلى أنه ليس من الحكمة أن نفترض بأن الببليوجرافيا ستحل محل الدراسات الأكثر قدما والأكثر نضجا وهي دراسات النقد الأدبي واللغوي، وما نريد أن نتأكد منه هو متى تنتهي إحدى هاتين الطريقتين من معالجة المشكلات، ومتى تبدأ الطريقة الثانية.[17]

ولكن هذه المشكلة قديمة منذ بدأت الببليوجرافيا، وكانت محور خلافات الببليوجرافيين أنفسهم وبينهم وبين المتخصصين في المجالات الأخرى خصوصا مجالات النقد الأدبي والتحرير النصي، كما سبق وأوضحت الدراسة .. وكان هذا الخلاف واضحا بين كل من الببليوجرافيين **ماك كيرو** Mckerrow **وجريج** .. فقد كتب **ماك كيرو**:[18]

«إنه لأمر محزن ــ في اعتقادي ــ أن نسمي المحاولات التي قامت لتحديد الأسباب الدالة على حالة النصوص بأنها الدراسات الببليوجرافية لهذه النصوص. ولعل السبب الوحيد في هذه التسمية هو أن الباحثين الرواد الذين اهتموا بهذا النوع من البحوث كانوا أنفسهم ببليوجرافيين (مثل الدكتورين **بولارد** Pollard **وجريج** Greg) . ذلك لأنه ليس هناك شيء «ببليوجرافي» عن معظم المناقشات والحيثيات المستخدمة».

وفي المقابل فقد كتب **جريج** Greg ــ في مذكراته عن **ماك كيرو** ــ كتب عن هذه الدراسات السابقة **لماك كيرو**، ما الذي أغضبه عندما سميتها النقد الببليوجرافي للنصوص الدرامية».[19]

وواضح أن هناك حاجة ماسة إلى توضيح المصطلحات هنا، ولكن نقاط الخلاف الرئيسية بين **ماك كيرو وجريج** قد رأيناها مسبقا. وقد انحازت الدكتورة **والكر** لخط **ماك كيرو** في التفكير والتعبير، فقد انتهزت فرصة مراجعتها لكتاب **سن** S.K. Sen[20] للاعتراض على استخدام مصطلح الببليوجرافيا النقدية، ذلك لأن ناقد النص هو المسئول عن التمييز بين القراءات الصحيحة والباطلة.

ومن هنا فتفضل الدكتورة **والكر** استخدام المصطلح التقليدي «نقد النص» حتى يعلم الجميع ما نتحدث فيه، بدلا من استخدام مصطلح «الببليوجرافيا النقدية» والتي قد تختلط مع العمل الببليوجرافي الواضح.

لقد ركز **باورز** Bowers في كتاباته خصوصا في مقالته عن «الببليوجرافيا» والتي صدرت في الموسوعة البريطانية، ركز على

خصائص الببليوجرافيا الأساسية **وهي** أنها تهتم باكتشاف وتسجيل الحقائق المادية عن الكتاب. ولكن تجميع هذه الحقائق لا يتم بالدرجة الأولى لمعاونة جامعي الكتب أوالأمناء للتحقق من نسخهم، ولكن الأهمية الرئيسية لهذا النشاط تكمن في أنه وقفة ضرورية ومسبقة Penultimate للنقد الأدبي والنصي.

وعلى كل حال فان دراسات ونشاط الباحث **باورز** Bowers في كل من الببليوجرافيا الوصفية(٢١) والببليوجرافيا النصية يعتبر اسهامه الرئيسي في المجال ويعتبر في نفس الوقت نقطة انطلاق المعارضة الرئيسية له.

كما دارت حول آراء **باورز**Bowers عن الببليوجرافيا النصية كجزء هام وطبيعي من «النقد النصي»، دارت مناقشات ومنازعات عديدة(٢٢). فقد اعتبر **باورز** أن الببليوجرافيا تقدم الأدلة ذات الطبيعة الحقيقية Factual Nature مما يؤدي إلى تحقيق النص Emendation of the text ، ومن السفاهة إنكار مثل هذا الدليل الببليوجرافي. ولكن الشيء الذي دارت حوله أكثر المناقشات هو «درجة أهمية علاقة هذا النوع من الأدلة بالأدلة الأكثر استقرارا في النقد النصي Textual Criticism .

لقد كان البروفسور **باورز** أستاذا للأدب الانجليزي بجامعة فرجينيا وكون الجمعية الببليوجرافية بالجامعة وهذه كانت تصدر دراسات في الببليوجرافيا.

وهناك مشكلات عديدة تتعلق بالنصوص القديمة في أعمال **شكسبير** وغيره، ولكن هناك أيضا مشكلات نصية ظهرت في الكتب المطبوعة في عصر استخدام الآلات والحاسبات الالكترونية، وتشير هذه الكتب أيضا للمشكلات الببليوجرافية.(٢٣)

ومع ذلك فهناك عدد قليل من الناقدين الأدبيين Literary Critics الذين ينكرون دور الببليوجرافيا وعلاقتها بهذا المجال، فقد قال الباحث الأدبي **باتيسون** Bateson «تحتل الببليوجرافيا التحليلية كعلم موقعا مستقلا بذاته، ويبدو أن نتائجها ذات علاقة هامشية لدارسي الآداب، ذلك لأن اهتمامها ليس بمعنى النص الأدبي ولكن بالعملية التي توزع بها المطبعة الكلمات المكتوبة فضلا عن أن العمل المكتوب نفسه هو مجرد ترجمة للأصل الشفهي».

وفي الختام يمكن أن نلخص انجازات حوالي نصف قرن من الجهود الرامية إلى استخدام الدليل الببليوجرافي في مشكلات النصوص في السطور التالية :

لقد اتضح لنا أنه عند دراستنا لعمل أو نص معين، فمن الواجب فصل الجزء القابل للتحليل الببليوجرافي من المشكلة، وذلك حتى لا يتدخل الببليوجرافي في مشكلات غير ببليوجرافية .. ومع ذلك فينبغي أن نؤكد عند هذه النقطة أن دور الدليل الببليوجرافي في البحث ربما يكون صغيرا ولكنه قد يكون أحيانا دورا حاسما بالنسبة لقضية تحقيق النص، وهذا ما يعكس الرابطة القوية بين الببليوجرافيا والدراسات الأدبية خصوصا من ناحية تاريخ النص أو التفسير الفعلي لنسبة كتاب إلى مؤلفه اعتمادا على الطبيعة المادية للكتاب، أي أن هذه الرابطة تتمثل في أن الدليل الببليوجرافي يعتبر دليلا رابعا بجوار الأدلة المستقرة الثلاثة في تحقيق النصوص وهي الأدلة التاريخية والأدبية واللغوية .

وإذا كانت الببليوجرافيا قد ساعدت في الدراسات النصية خصوصا بالنسبة لتحديد تتابع طبعات مؤلف معين(٢٤)، اعتمادا على دراسة الطبيعة المادية Physical Nature للكتاب، فما زال هناك بعض اللبس والغموض بالنسبة لعلاقة الببليوجرافيا «بالموضوع أو المحتوى الأدبي للكتاب»(٢٥) خصوصا وأنها تطبق على أمور وقضايا ذات علاقة بالنص في معظم الأحوال.

المراجع والحواشـــي

(١) Stevens, Rolland E: Research Methods in Librarianship: Historical and Bibliographical Methods in Library Research. Illinois Urbana, Univ. of Illinois 1971, pp. 88-99.

(٢) Ibid, p. 89.

(٣) عبد السلام هارون ، **تحقيق النصوص ونشرها**. القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧، ٨ــ١٤.

(٤) أدب الإملاء والإستملاء ص ٧٧.

(٥) قال البلقيني (٨٠٥هـ) : محاسن الاصطلاح (٣١٠): وهذا أصرح في المقصود إلا أنه مرسل .

(٦) الجرجاني : التعريفات ١٤٢ .

(٧) الصولي : أدب الكتاب ١٥٦ .

(٨) Stevens, R.E., Ibid, pp. 88-89.

(٩) عبد الهادي الفضلي، **تحقيق التراث**، جدة، مكتبة العلم، ١٩٨٢/١٤٠٢م، ص٣١ ــ ٣٣.

(١٠) Robinson, Lewin, A.M., Systematic Bibliography, London, Clive Bingley, 1977, p.9.

(١١) من الموسوعة البريطانية (المقال الخاص بالبيليوجرافيا)، ط ١٩٠٩، وحتى ط ١٥ .

(١٢) Stokes, Roy. The Function of Bibliography. 2nd ed., Aldershot, Gower Publishing Co. Limited. 1982. p.107.

(١٣) Ibid, p. 108.

(١٤) Pollard, A.W. Shakespeare Folios and Quarts, London.

(١٥) Transactions of the Bibliographical Society, Vol. XII (1914) pp. 39-53.

(١٦) Stokes, Roy, op. cit. pp. 117-118.

(١٧) Review of English Studies New Series: XI (1960) pp. 49-51.

(١٨) R.B. McKerrow, Prolegomena to the Oxford Shakespeare Oxford, The Clarendon Press, 1939 p.9.

(١٩) Sir Walter Greg. Memoir of Mckerrow in the Proceedings of the British Academy XXVI (1940) pp. 489-515.

(٢٠) S.K. Sen, Capell and Malone, and Modern Critical Bibliography. Calcutta Firma K.L. Mukhopadhvay, 1960.

(٢١) Fredson Bowers, Principles of Bibliographical Description. 1949. Re-issue Princeton, N.J. Princeton University press 1902.

(٢٢) Stockes, op. cit. p. 124.

(٢٣) Ibid, p. 127.

(٢٤) أنظر في هذه الأمثلة المرجع التالي:
Stokes, Roy, The Function of Bibliograpjy, p.133.

(٢٥) Greg, W.W. «Bibliography-a retrospect». The Bibliographical Society, 1892-1942. Studies in Retrospect. London, 1945 p.24.

* كلمة الكتب في هذا السياق تعني التسجيلات المكتوبة أو المنشورة Written or Published Records.

** تستخدم هذه الكلمة Password في الوقت الحاضر في استخدامات الحاسبات الآلية، إذ أن كل باحث يحتفظ ببرامجه أو الحقائق المتعلقة بالحاسب، ولا يستطيع أحد الوصول إليها إلا بكلمة المرور هذه.

*** أنظر في ذلك ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ بعض الرسائل التي حصل أصحابها على درجة الماجستير من قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وبإشراف الأستاذ الدكتور عباس طاشكندي الأستاذ بالقسم .